

أصوات البيان

126 @ أن الصنك في اللغة : الضيق . ومنه قول عنترة : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِأَيَّاتٍ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا } الآيات الموضحة نتائج الإعراض عن ذكر الله تعالى الوخيمة . فأغنى ذلك عن إعادته هنا . وقد قدمنا هناك أن منها المعينة الصنك . وأعلم أن الصنك في اللغة : الضيق . ومنه قول عنترة : % (إن) يُلْحِقُوا أَكْرَرٍ . وإن يُسْتَلِحَ مُوا % أَشْدُدُ وإن يُلْفَوْا بِضَدْكٍ أَنْزَل) % . وقوله أيضاً : قوله أيضاً : % (إن المنية لو تُمَثَّل مُثْلَت % مثلى إذا نَزَلُوا بِضَدْكِ الْمَنْزَل) % .

وأصل الصنك مصدر وصف به ، فيستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع . وبه تعلم أن معنى قوله { مَعِيشَةً صَنْكَاً } أي عيشاً ضيقاً والعياذ بالله تعالى . . . واختلف العلماء في المراد بهذا العيش الضيق على أقوال متقاربة ، لا يكذب بعضها بعضاً . وقد قدمنا مراراً : أن الأولى في مثل ذلك شمول الآية لجميع الأقوال المذكورة . ومن الأقوال في ذلك : أن معنى ذلك أن الله عز وجل جعل مع الدين التسليم والقناعة ، والتوكل على الله ، والرضا بقسمته فصاحبها ينفق مما رزقه الله بسماح وسهولة ، فيعيش عيشاً هينياً . ومما يدل على هذا المعنى من القرآن قوله تعالى : { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُرْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَذِكْرِيَّتَهُ حَيْوَاهُ طَيْبَةٌ } ، قوله تعالى : { وَأَنَّ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوَبُّوا إِلَيْهِ يُمْتَدِّعْكُمْ مَتَّدَاءًا حَسَدًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى } ، كما تقدم إيضاح ذلك كله . . .

وأما المعرض عن الدين فإنه يستولي عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشج الذي يقبض يده عن الإنفاق ، فعيشة صنك ، وحاله مظلمة . ومن الكفارة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة بسبب كفره ، كما قال تعالى : { وَضُرْبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَأْيَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ } . وذلك من العيش الصنك بسبب الإعراض عن ذكر الله . وبين في مواضع آخر أنهم لو تركوا الإعراض عن ذكر الله فأطاعوه تعالى أن عيشهم يصيروا واسعاً وغداً لا صنكاً ، قوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَا كَانُوا مِنْ فَوْقَهُمْ وَمِنْ تَحْتِهِمْ } ، قوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّهُمْ أَهْلَ الْقُرْآنَ أَمَدُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَاهَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ

وَالاَّمْ رْضِ { ، وَكَوْلَهُ تَعَالَى عَنْ نُوْحَ : { فَقْتُلْتُ اسْتَغْفِرُواً رَبَّكُمْ اِنْزَهَ
كَانَ غَفَّاراً بُرْسَلَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ مُدْرَاراً وَيُمْدِدُكُمْ
بِأَمْوَالٍ وَبَذِينَ وَيَجْعَل لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَكُمْ أَنْهَاراً } ،
وَكَوْلَهُ تَعَالَى عَنْ هُودَ : { وَيَا قَوْمَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ شُمْ تُوبُوا اِلَيْهِ
بُرْسَلَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ مُدْرَاراً وَيَزِدُكُمْ قُوَّةً اِلَى